٧- منظور الشباب للعولمة وقيمها الثقافية

الحالة الطبيعية هي ان تكون ثقافة الشباب ثقافة فرعية من ثقافة المجتمع في حال امتلاك ثقافة المجتمع. وقد تحدث علماء الاجتماع والانثربولوجيا المهتمين بدراسة الشباب، عن مفهوم جديد هو ثقافة الشباب، وهم يقصدون بذلك ان الشباب يمثل مرحلة من مراحل النمو الإنساني، لها ثقافتها الخاصة، التي تعبر عن مجموعة القيم والاتجاهات والآراء وأنماط السلوك التي تحظى بالموافقة والقبول من تلك الفئة العمرية، الاجتماعية التي اصطلحنا على تسميتها باسم الشباب.

والواقع ان ثقافة الشباب أصبحت تمثل في وقتنا الحاضر مفهوماً رئيسياً عند أي مناقشة لقضايا الشباب او اتجاهاتهم او مشكلاتهم، وهي تمثل ايضاً استجابة للتغيرات البنائية الكبرى التي يشهدها المجتمع المعاصر، والتي ادت إلى ظهور ازمات اجتماعية ثقافية كبرى وشجع على ذلك ما احدثته التكنولوجيا المعاصرة من تفكك في النظم التقليدية التي أصبحت غير ملائمة للتوقعات والآمال.

فقد عملت التحولات الاجتماعية والاقتصادية على هز استقرار القيم الثقافية واستبدال عناصر فيها لتحل محل عناصر أُخرى، وألغت باستمرار قيم واستبدلت بتوجهات قيمية تغيرت قبل ان تستقر، كما ساعد الحراك الاجتماعي بكل أنواعه لهجرة البشر لقيمة كانت لها فاعليتها، وتبنيهم قيماً جديدة لم تستقر بعد وربما غير قادرة على الضبط، كما ان مؤسسات التنشئة الاجتماعية ضعيفة وبالتالي وجدنا أنفسنا اما انهيار الثقافة، وغياب القواعد، ونتج عن ذلك ضعف الروابط بين الأفراد والمجتمع بحيث دفعهم للارتباط بأطر منحرفة او استهلاكية او تنزع الفرد من أمته فتعمل على تشكيل ثقافات وممارسات منعزلة يعيش في إطارها الشباب.

فالثقافة تنطوي على عدد من الأنساق القيمية المختلفة، وهذه القيم ترتبط بحاجات الإنسان الأساسية. ولاشك ان طريقة التعبير عن هذه الحاجات تختلف باختلاف ظروف بيئية ومجتمعية وتظل القيمة صالحة ما دامت تناسب ظروف البيئة، فإذا اختلفت الظروف أصبحت القيمة بذلك لا تؤدي وظيفة اجتماعية ولا تخدم حاجة من حاجات الإنسانية او على الأقل تنقص كفاءتها في هذا الأداء ومن ثم يصبح التمسك بها والدفاع عنها والحفاظ على وجودها ضمن الإطار القيمي جموداً

وقد يؤدي ذلك إلى عرقلة عملية التنمية وتقدم المجتمع. فالتحولات العالمية وتجليات العولمة وآلياتها من خصخصة المشاريع الاقتصادية تؤدي بالضرورة إلى تحويل بعض القيم الوظيفية إلى قيم مهملة كما تؤدي إلى ظهور قيم جديدة تنشأ من الحاجات التي جلبها التغيير. فإذا كان التحول سريعاً أصبحت الحاجة ماسة إلى تخطيط قيمي مقصود قائم على أساس الدراسات العلمية. وهذا التطور في القيم يخضع لمؤشرات واقعية من الحاضر وارث الماضي فإذا سلمنا بوجود فجوة واضحة بين معدل التطور في التقنية والمعلومات والإعلام في ظل العولمة وبين معدل الاستجابة الإنسانية لتجليات هذا التطور فاننا نتوقع حدوث اختلال واضح في موازين التعامل الإنساني ظهور أنماط سلوكية غير مرغوبة هذا الأمر ضرورياً وملحاً للاستعانة بالباحثين من اجل العمل على تجنب احتمالات وقوع الخلل الأمر الذي يقتضي بالضرورة أحداث تغيير مقصود ففي الإطار القيمي ولكن يكون التغيير القيمي ناجحاً لابد من الوقوف على المؤشرات المستقبلية من علم متعمق وتقنية تسود بثقافتها المادية كل القطاعات الاقتصادية ولا يأتي ذلك الا اذا تعاملنا بأسلوب علمي دقيق ودون تحيز لمعطيات الواقع بأبعاده المختلفة، وان يتم بناء مقصود لإطار قيمي يعظم العمل والإنتاجية وروح المنافسة.

ان الانقلاب الايدولوجي والثقافي والاقتصادي للمجتمع، ادى إلى تعرض الإنسان والشباب على وجه الخصوص لهزة عنيفة، أثرت بصورة سلبية على ملامح الشخصية الشابة، وخلق حالة من الاغتراب الاجتماعي، والثقافي بينهم. وتجلى ذلك في شعور الشباب بالفراغ، والقلق، والعزلة عن الأنساق الاجتماعية او المؤسسات الرسمية او عن معايير وقيم المجتمع. والأخطر من ذلك هو عدم قدرة الشباب على فهم ذاتيتهم الجديدة وتقبلها والتعامل معها، وهي ما تسمى بأزمة الهوية.

والشباب في مرحلة (المراهقة الجامعية) من أكثر الفئات الاجتماعية انبهارا بالحضارة الغربية، وما تحمله من مظاهر الإنتاج الثقافي، ويتمنون لشعوبهم سرعة اللحاق بكل هذه الانجازات، ويجدون في العولمة السبيل إلى ذلك.

كما ان للعولمة تأثيراً على شخصية الشباب، من خلال تكوين سمات جديدة تحمل في طياتها تناقضات ثقافية في ظل متغيرات عصرية مفروضة على الإنسان كالاغتراب، الفردية والمادية والاستهلاك.

فالأدوات التكنولوجية ووسائل العولمة ليس مرغوباً فيهما فقط، وانما هما تطور تاريخي حتمي ندعو إلى انتهاك علومه، ومعرفة أدواته واسراره، ومواكبته، ولكن هذه الأدوات قد تكون خيراً او شراً طبقاً لطريقة استعمالها.

ومن هذا المنطلق نستخلص انه مع الحديث عن العولمة وانتشار بعض مظاهرها في العالم انتشرت معها ثقافة جديدة اثرت في شعوب الكثير من الدول، خصوصاً الأجيال الجديدة التي باتت تتأثر ايجابياً وبشكل سريع مع هذه المؤثرات الثقافية فأصبح الفارق بينها وبين الأجيال التي سبقتها واضحاً للعيان وخصوصاً من حيث المفاهيم والسلوك والتطلعات والعلاقات التي تربط الأفراد بعضهم بعضاً.

ان الشباب أكثر عرضة للتأثيرات الوافدة من الخارج ونعني بذلك تأثيرات العولمة التي تكشف لهم عن حياة شباب آخرين، وفي مجتمع آخر وتدفع بهم نحو المقارنات وتختصر المسافات بقدر ما تعمق التمايزات والفوارق، وتكدس الثروات في ايدي القلة ويتراوح احتكاك الشباب بهذه التأثيرات تبعاً لوسائل الاتصال المتاحة لهم، ويراوح كذلك موقف الشباب من تلك التأثيرات بين تبني ما يفد إليهم او الاكتفاء بموقف المتفرج، وبين التشبث بموقف المحافظة الرافضة والارتداد إلى اصولية حضارية او فكرية او دينية عقائدية تتسم بالتطرف أحياناً او بالاعتدال المتطلع إلى السلطة.